

المشار إليها وتسكن عند سكونها، ولا تندهشى أيتها القارئة إذا تصورت جمال هذا الثوب وقدرت ما استغرقت نفقته من قناطير الدنانير بل قولى مع القائل لا عيشة إلا مع الغنى ولا حياة إلا مع المال على حد قول الشاعر:

إن الدراهم فى المواطن كلها      تكسو الرجال مهابة وجمالا  
فهى اللسان لمن أراد فصاحةً      وهى السلاح لمن أراد قتالا

وكننت أود أن استطرده إلى ما كان من الأخلاق والعوائد المألوفة فى خطب الباريزين وأعراسهم وولائمهم ومراقصهم ومآتمهم وأحزانهم إلى غير ذلك من أنواع التفاؤل والتشائم فى هيأتهم ومجتمعاتهم، لكن تركت ذلك إلى باب العوائد والأخلاق لكى أقابله بما بينهم وبين الأمة الإنكليزية من العوائد القديمة والحديثة وكل آت قريب.

وقبل أن أنتقل من هذه العاصمة إلى ما سواها من عواصم أوروبا وأميركا استسمح القراء بذكر بعض مواقع باريس وساحاتها وقصورها وأثارها ومنتزهاتها ومراسحها وقهاويها ومكاتبها وجرائدها ومدارسها وأكاديمياتها إلى غير ذلك من علومها ومعارفها وأدبها وتمدنها مما لا نظير لها فأقول.

«البقية تأتى»

### العصر الحميدى

«بقلم حضرة الأديبة الأنسة إميلييا فارس طراد بمدرسة الشويقات»

بسم المهيمن بدء القول يزدانُ      وحمدهُ خير ما يتلوهُ إنسانُ  
كم خصنا بكرامات علت وسمت      فضاق عن وصفها يا قوم شكرانُ  
فى كل آن لنا من فضله كرمًا      سوابغ كم لها فى ذاتها شانُ

نظيره لم يقم من قبل سلطان  
كواكب السعد تجلى وازدهى البان  
وتاه من فضله بالعز لبنان  
كأنها من جميل الصنع شكران  
بأمنه وتصافى الذيب والضمان  
بفضله فى الملا عجم وعربان  
بناصر العلم فهو اليوم يزدان  
كواكباً نورها علم وعرفان

هذه خليفته النزل الظليل ومن  
عبد الحميد الذى فى عصره طلعت  
ملكك عدل به الدنيا قد ابتهجت  
فقم تر الأرز للعلياء مد يداً  
مذ قام نعوم فيه حاكماً فزها  
ذاك الوزير الخطير الندب من شهدت  
ما زال مذ حل فينا آخذاً أبداً  
هاك المدارس فى أيامه طلعت

إن من يعمن النظر وينعم الفكر بما وصل إليه عصرنا الحالى أى العصر الحميدى من أسباب التقدم والنجاح لا بد له أن يقف توقف التحير والانذهال لسرعة هذا الانقلاب العجيب والنمو الغريب، يرفع أكف الضراعة للعرزة الإلهية ليحفظ ويدم من بظله نحن جميعاً مستظلون ببحبوحة الأمن والسلام راتعون من بعنايته ودرأيته، تقدمت البلاد وابتهجت أفئدة العباد من انقادت إليه أعظم الأعمال صاغرة ذليلة وخرت المصاعب من هيبتة مذعورة كليله، ألا وهو مولانا الأعظم وسلطاننا الأكرم السلطان عبد الحميد خان بدر السلالة العثمانية الشريفة وشمس علا الدولة العلية المنيفة الذى منذ تبوئه أريكة العرش الحميدى الأسنى، جاعلاً نواياه المقدسة لما يؤول لرفاهية وتقدم ونجاح رعيته مادياً وأدبياً ساهراً عليها كأم حنونة تحن إلى ولدها إشفاقاً ومرحمةً، فشيده أركان العدل، وأطفأ نار الظلم وبسط الحرية والأمن، وسهل سبيل الراحة ونشر ألوية المعارف وسهل طرق العمران وفتح أبواب التقدم والنجاح. فبذل الدرهم من جيبه الخاص لتوطيد بيوت العلم والآدب وإعانة الفقراء والمساكين ثم ترى مكارمه فاضت فعمت بلاد الغرب أيضاً، لذا نشاهد الصحف الأوربية عى اختلاف نزعاتها تنهج بذكر مآثره الحميدية وأعماله المجيدة لأن بردأيته (أيده الله) قد ألقىت مقاليد الأحكام إلى من

توفرت بهم أسباب العدالة، فانبثق نور العدل وانفجر ينبوع الإحسان والفضل، وبرزت شمس المعارف بعد أفولها وتنشطت قوى النفي بعد خمولها، فشبت الشعوب العثمانية من رقدتها واستفاقت من غفلتها وجدّت في طلب التمدن والعلوم، فأخضعت القوات الطبيعية وذلتت المصاعب القوية فسخرت البرق والبخار، فأدنت ما كان بعيداً وضمّت قاصياً وشريداً ورحم الله شاعرنا الطرادى حيث قال:

غنتُ سليمانى فى الحجاز فأطربت      مع بعدها أهل العراق نشيدا  
ولو فإن رقصت بمصر فقد نرى      فى أصبهان لقدمها تؤيدا

أجل ما أبهج هذا العصر وقد بسمت له القلوب طرباً وتاهت بفخره وذكره عجباً فيه سطعت شمس العلم متألّئة فى أفق المعارف، وصاحت بلايل النجاح من كل تليدٍ وطارف حتى أصبح يتحلى بحل الفخار فاتقاً ما سواه من الإعصار ناشداً بلسان حاله:

فحى على الفلاح فقد تجلّى      عمود الصبح وارتحل القتامُ  
لنرجع ما طوت عذر الليالى      وبنى ما تداوله الهذامُ  
لنرجع أعصر الآداب تزهو      بدولة من هو الملك الهمامُ  
ملك بين أيديه الليالى      جوار الزمان له غلامُ  
فشيد للتمدن كل ركنٍ      له بيمنى عنايته قيامُ  
على عبدالحميد صلاة رب      يقارنها رضاه والسلام

فكم من المدارس التى هى أساس التمدن ودعامة العمران سواء كانت للذكور أم للإناث بين كلية وابتدائية قد رفعت أعلامها فى هذا العصر الحميدى الأتور، فاهتدينا بسناها واستنورنا بضيائها ولولاها لخبطنا خبط عشواء فى الليلة الظلماء، وكم من الأبنية النافعة الرفيعة العماد تشييدت كالمساجد والكنائس والمطابع والمعامل وغير ذلك

مما يجلى لنا برهان تقدم العصر فى حالاته الثلاث الزراعة والصناعة والتجارة ووالتي يضييق دون تبيانها المقام، والخالصة إننا كل يوم نسمع ونرى فى عصرنا شيئاً جديداً للتقدم والعمران كطرق العربات والسكك الحديدية التي طالما كنا نسمع عن الاهتمام بها فى بلادنا وإنشاء المرافى وإنارة المدن بألغاز هذا ما نراه بعيوننا، وكما نسمع عن الاختراعات العظيمة والاكتشافات الخطيرة، فلا غرو أن وسمناه بعصر الاختراعات والاكتشافات الخطيرة هذا وبما أنى قاصرة عن تعداد أسباب التقدم فى هذا العصر لأننى مهما عرفت أو سمعت عنها لا يكون إلا كنسبة قطرة من محيط، فأرى السكوت أجدر بى على أن العواطف الذاتية لا تدعى دون التكلم قليلاً مع الاعتراف بقصورى عن حالة الشباب والنساء، وما وصلن إليه فى عصرنا الحميدى الأثور فهلم معى وقاكن الله أيتها الأخوات السيدات العثمانيات للتأمل بحالة جنسنا فى العصور الخالية والأيام الماضية فنرى فرقاً عظيماً بين جهل العصر الغابر وعلم العصر الحاضر بل بين عبودية القدماء تلك الملكة الجهنمية وبين حرية بنات عصرنا، وأنها لعمر الحق حرية أدبية يحق لسائر الأمم أن تحسدنا عليها، فإن المرأة كانت فى العصور السالفة فى حالة الذل والهوان والشقاء والظلام يوم كان الظالمون جاهلين حقوقها زاعمين بأنها هى مجرد آلة لا صوت لها ولا رأى، وإنما لم تخلق إلا لتكون أمة للرجل يديرها كيف شاء إما بالضرب أو بالشتم مستهجناً ذكر اسمها، وما ذلك إلا من الجهل الذين أعمى أبصارهم وأظلم أفكارهم ومن عواطف الضلال التي هاجت برؤوسهم حتى إنهم عدوا تهذيب الأنثى وترويض عقلها بالأداب من المعائب والشوائب.

فيا لجهل الظالمين ويا ظلم الجاهلين وهكذا بقيت ثمرة العلم محجوبة عن بصائر المرأة وظلام الجهل منتشر عليها أسيرة محبوسة منحنة القدر خامدة الفكر تحتل الذل من قومها، وهم المذنبون تصرف جل أوقاتها سدئ تقص على أخواتها وأولادها الخرافات المخيفة الخسنة والعديمة الفائدة، فتربى فيهم روح الجهل والغباوة منذ نعومة

أظفارهم «وتأمل فيما بعد كيف يشبون» فكيف لا تتحرك الشفقة في قلوبنا على حالة تعيسة كهذه بل وكيف لا يتألم الفؤاد أسي عليها وعلى من أنكر حقوقها، وزعم أن اعتبارها وتهذيبها برياض العلوم واشتراكها في الهيئة الاجتماعية ليس من متعلقاتها كأنها ليست شريكة الإنسانية لا يضيّمها الذل ولا يقهرها الظلم، فظلت على هذه الحالة المظلمة، وهي ظمأى لماء المعارف والعلوم وليس من أحد يغيثها معتصمة بالله متدربة بالصبر قائلة مع من قال:

الدهر لا يبقى على حالةٍ      لا بد ما يقبل أو يدبر  
فإن تلقاك بمكروهه      فاصبر فإن الدهر لا يصبر

إلى أن من الله عليها بتسخ النحوس وأنارها من المعارف بشموس، فلبت داعية التقدم والنجاح هاتفة هيا على الفلاح في ظل عصرنا الحميدى الذى لسان حاله يناديها بقوله. قومى واستنيرى من نورى أما تسمعين ما فعلت دولتنا العلية المشيدة الأركان العظيمة الأمر والشأن بإبطال تلك العبودية ونشر الحرية، فاطرحى عنك تلك العبودية الجهنمية وتمتعى بالحرية الأدبية، واطلبى حقوقك المسلموية وأمالك المنسوية وسكنى بلبالك وطمنى بالك، فإنك ستكونين فى أمان على الدوام لأن ببزوغ نور التمدن فى الغرب ونهضة العلوم والمعارف أخذ الرجال طريق الحق، واعطوا النساء حقوقهن وإكرامهن اللائق بهن وبأحوالهن وخولوهن الاجتماع معهم فى الهيئات الاجتماعية لتقديم آرائهن بملء الحرية، فحالا برزت المرأة من موضعها وكسرت قيد أسرها وأخذت تتناول من نور العلم ما يوسع عقلها ويهذب أخلاقها ويسهل طرق واجباتها وييسر أعمالها ويقيها من الوقوع فى ورطة الجهل ويعطى راحة لجسمها وحرية لضميرها واستقامة لفعالها وإصابة لأفكارها، وأخذ أهل الأدب يساعدها بعد أن عرفوا أنها هى أسُّ النجاح بما يزيدها علماً ويكسبها فهماً، فعرفت وعرفت ولن تزل تعرف بأنها هى وليس غيرها حياة الهيئة الاجتماعية ورونقها وبهجتها ولولاها لأصبحت كفلك بلا

شمس، إذ أنها أساس التمدن وزعيم الآداب وبالاختصار هي الوسطة الوحيدة لبلوغ المرء إلى قمم الفلاح والنجاح، فبانحطاطها ينحط العمران وبارتفاعها ترتفع الأكوان ولنا شاهد بكل الأمكنة والأزمان إذ لا يخفى ما يتوقف عليها من أمور بني الإنسان التي لا يدركها من ذلك قلم ولا لسان. فيا لسعد طالعنا ووفر حظنا نحن العثمانيات كوننا في هذا العصر الحميدى الأسعد عصر السلام ألا يؤخرنا عن التقدم إلاّ خمولنا وكسلنا حيث لا ابنة أو امرأة تقصد تقدمها أو تقدم غيرها إلاّ ونرى مئات من الأيدي من فوقها تلك اليد البيضاء الحميدية كانت خير مساعدة ونصيرة. فيلزمنا والحالة هذه أن لا نسمح بصرف أوقاتنا بما لا طائل تحته من الأحاديث والاهتمامات الخارجية الزائلة الجانحة بنا لهاوية الجهل فالدثار «لا سمح الله بذلك»، ونحن في هكذا عصرٍ فلنتخلق بالأخلاق الحميدة ونزدان بالعلوم والمعارف ونعكف على الشغل والعمل، ونسعى وراء كل فضيلة من شأنها ترقى الوطن فتصبح بلادنا في أمدٍ قصير جنة تجرى من تحتها الأنهار، ولنعلم دائماً أن عيناً ناظرة إلى كل أعمالنا وسنطالب إن لم نقم بواجباتنا حق القيام، وبذلك يجدر بنا أن نكون في أعلى المراتب ونصل بأمان حتى سواحل الأبدية والسلام.

### التنديد بالغير وأضراره

«خطاب القتةُ حُضرة الكاتبة الفاضلة الأنسة استير ازهرى»

«في جمعية باكورة سوريا في بيروت»

سيداتي الفاضلات

لا ريب أن مقام الخطيب في كل عصر ومصر النظر لما خل من الأحوال بعين الناقد البصير وتحريض القوم على إصلاحها ما استطاعوا إلى الإصلاح سبيلاً ممهداً